

مقدمة

ما هو التأويل؟ ومن أين يبدأ في الخطاب الشعري؟ وأين ينتهي؟ وعلى أي القواعد يقوم؟
أهو بحث في المعنى؟ أم هو بحث فيما اتصل به؟ .

إن التأويل بصورة مجملة بحث في إدراك قصد المتكلم، وهو بذلك الفهم الذي ينطبع في
الذهن على وجه التخيل عند المؤول من بعد فعل المحاكاة عند المتكلم. ولما كان المؤول متعددًا،
وكانت المدارك مختلفةً والظروف متغيرة؛ فإن فهم القصد لا يتم بنفس الصورة كما كان زمن التلفظ
عند جملة المؤولين، فضلًا عن كونه مكتوبًا وانقطع عن قائله، مما يبيح التعدد والاختلاف في فهمه.
أهو شرح وتفسير؟ أم تحليل عميق؟ أم بحث في طبقات النص، بدءًا من حاضره ومنتهيا عند
غائبه، بصرف الملفوظ إلى معناه المراد حقيقة، بما يتعين عند المؤول؟ أم هو بعد في المذهب وصرف
للملفوظ عما أريد به زمن التلفظ لاحتماله ذلك، بحكم احتواء النطق معناه ومعنى ناطقه، واستناد
التأويل على الدليل الصارف؟.

كان مدار التأويل أول الأمر على الخطاب الديني - عند الغربيين والعرب-، ثم تحوّل إلى
الشعر والنثر من كلام البشر، ليسري عليهما ما سرى على الأول. فإن كان هذا هو الحال قديما، فهل
يختلف حديثا؟ أم هل يثبت على ما كان عليه؟ والمحدثون يصرفون الهمم إلى النظام الذي يتأسس
عليه النص، ليكون التأويل بحثا في كيفية أداء المعنى كما هو حال البنيوية، أو تتبع ظاهرة أسلوبية
تسري على مجمل النص، وتختص به دون غيره كما هو في الأسلوبية، أو تعيينا للرسالة بعد النص
خطابا كشأن سيميائية التواصل، أو توسيعا للدلالة وإحاطةً باحتمالات القصد كما هو في سيميائية
الدلالة، أو وقوفا على ترجيح يتوافق مع ثقافة المبدع وثقافة مجتمعه على أساس سيميائية الثقافة.

وبناءً على السالف، يجري البحث على تفعيل آليات التحليل والقراءة والتكرار، وكل منها
مستقل بذاته، من غير انفصال تام، فلا يخلو بعضها من وجود بعض، فإذا كان التحليل والقراءة
آليتين تعدد بهما العمل النقدي، فإن التكرار يتخللهما؛ فهو يُعدُّ خاصيةً شعريةً في العرف السائد،
واعتماده دون غيره -آليةً- بفعل القصد فيه، يصنع الموازاة والتماثل شكلا، كما يصنع من حيث
التردد دلالةً ما، تتضافر مع غيرها لتحقيق المراد من القصد، لولا ذلك ما ترددت وما فرضت وجودها
في الانفعال الشعري.

إن تعيين الابتداء والانتهاج في التأويل يجر إلى مسألة الحدود والمستويات. والأولى ترتبط
بالأفقية إجمالا وتفصيلا وحريةً، لترتبط الثانية بالعمودية والعمق؛ فتنزل من المعنى الأولي إلى المعاني التي

تتشكل مع طبقات النص، وتتعيّن مع كل حدّ. ويجري تعيين المعاني فيها على أساس أغلب الظن المعادل لليقين في زمن التفاعل مع النص؛ فالأمر خاضع للقدرات والملكات الفردية، واستفزازات الملفوظات الشعرية من غير إغلاق لمجالات الفهم والإدراك [...]، بل يكون السعي إلى انفتاح الدلالة [...]، فكل قراءة تأويل، تبدأ من حيث انتهت سابقتها، تثبتها وتدعمها وتعيد إنتاجها، أو تنسفها وتعيّن غيرها.

ولذلك يُعنّون البحث ب: (التأويل: آياته وحدوده ومستوياته في شعر فدوى طوقان)، وقد بُني على خمسة فصول كما يلي:

الفصل الأول الموسوم ب: (التأويل: التصور والمفهوم)، يناقش مفهوم التأويل في الوحي، وفي عرف علماء الإسلام نظيراً وإجراءً عملياً، كما يناقش ارتباطه بالبيان والفهم، جامعاً بين النص الديني والخطاب الشعري قديماً، ليهتمّ البحث عند المحدثين بوسائط التأويل وآياته، مع الخروج إلى مفهومه.

الفصل الثاني ويتعلق ب: (التأويل المجمل) ويسري على النصوص المصاحبة من كاليغرافات وعناوين وإهداءات وتقديمات وتذييلات (تعقيبات)، لِيُستنبط بناء الخطاب الشعري موضوع البحث. الفصل الثالث ويهتمُّ ب: (التأويل المفصّل) متوسّلاً بتحليل آليّة، ليعيّن بنيات الخطاب - بوصفها بنيات عليا-، وعلاقاته الزمنية -بوصفها بنيات كبرى-، تندرج جميعاً تحت النموذج الفكري الذي يفترض البحث أن يشمل الشق الأول من الخطاب الشعري.

الفصل الرابع ويهتمُّ أيضاً ب: (التأويل المفصّل) متوسّلاً بآلية القراءة، ليكمل سابقه، وبملاً فجوات الالتحديد، وبخاصة ظاهرة التكرار الموضوعاتي التي تميز هذا الخطاب.

الفصل الخامس المتوسل بالتكرار آليّة يتعلّق ب: (التأويل الحر)، الساري على بنية الاغتراب بأزمنتها الثلاثة، والمندرجة تحت النموذج الفكري الثاني في الخطاب الشعري. وجرى العمل فيه على أساس تعيين المعاني من غير شاهد ولا قرينة إلا محمول الخطاب نفسه.

وقد تذيّل كل فصل بخلاصة تَعَيّن فيها الحدّ والآلية ومستويات التأويل وموضوعه، لتكون خاتمة البحث النهائية مصروفةً إلى الإجابة على إشكالية المقدمة ونتائج البحث.

والحق أن الدراسات في التأويل لا تحفى قديماً وحديثاً، فقد كان له وجود سابق في مناظرات القدامى بيانا وتحقيقاً وتأليفاً، وأنجز كثير من المحدثين مصنفات فيه على نحو التأسيس والإجراء، وإنما

خصوصية هذا البحث مرتبطة بخطاب فدوى طوقان الشعري من جهة، والجمع بين قديم المناهج وحديثها من جهة ثانية، وهو بذلك قد اجتمع فيه ما أردت الوصول إليه، السند العلمي والتطبيق الإجرائي وصورة المنهج النقدي، وبخاصة حين يكون التأويل هو العامل المشترك بين كل المناهج والمقاربات النقدية.

ينهج البحث **منهجاً** يجمع بين البنيوية والسيمائية، جارياً على التأويل الدلالي -عمقا- والتأويل الواصف - صعوداً- سعياً وراء تكامل منهجي لا يهمل المعنى ولا كيفية أدائه، بما يحقق المعرفة باختيار أنسب الاحتمالات التي تفرضها لغة الخطاب معجماً وتراكيب، ويضمن الطريقة أفقا وتوقعا وتأكيذا واتساقا، ليكون التفاعل مع النص رابطاً **موضوع** الانفعال الشعري بالفصول الخمسة - حدوداً وآليات ومستويات- على أساس صراع الإنسان مع الدهر وصراع الإنسان مع الإنسان، ورسالة تتأسس على فقدان والتعويض.

يُرجى أن تتحقق هذه التوقعات بالاتكاء على مكتبة البحث بمصادرها ومراجعها. فأما **المصادر** وأولها **التفاسير** مع ابن كثير والقرطبي، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب، والزمخشري في الكشاف، وأبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط، والجلالين السيوطي والمحلي، وكلها تميل إلى التفسير والشرح ثم التطرق إلى الوجوه البعيدة التي يحملها الملفوظ، تأسيساً على ما في النص الديني، واجتمع للشنقيطي في أضواء البيان أن يحيط بكل ما سبق بفعل تأخره زمناً.

وثانيها **كتب المعارف العامة** مع الجرجاني في أسرار البلاغة، وابن قتيبة في تعبير الرؤيا، وتأويل مختلف الحديث، والمصري في اتفاق المباني واختلاف المعاني، وعلماء الأصول من الغزالي إلى الشوكاني، والمحدثين المشهورين صاحبي الصحيحين وأصحاب السنن، والفقهاء مالك والشافعي وأحمد، وابن رشد من الفلاسفة، وتوشح البحث بدواوين فحول الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام، وأصحاب المعاجم الفراهيدي والفيروزآبادي، وفيه استئناس باللغويين ابن جني والجاحظ وغيرهما، وغاية الجمع بين الجميع أن يستوفي البحث أغلب توجهات الفكر العربي الإسلامي ليكون التأويل بيناً في موضع القبول والرفض عند كل طائفة وفي كل توجه، فقد اجتمع لبعضهم بل لأغلبهم أن يكونوا في طوائف وفي توجهات فكرية مختلفة.

وأما **المراجع** فمنها ما تعلق بالتأويل عينا كالتأويل بين السيميائيات والتفكيكية لامبرتو ايكو، ونظرية التأويل لبول ريكور، وكالتأويل والحقيقة لعلي حرب، وتأويلات وتفكيكات لمحمد

شوقي الزين، وفلسفة التأويل وإشكاليات القراءة وآليات التأويل لنصر حامد أبو زيد، وكلها لم تستثن أي شكل من أشكال الخطاب بما فيها الديني والفلسفي. ومنها ما تعلق بالقراءة النقدية والخطاب الأدبي كالقراءة وتوليد الدلالة لحميد حميداني، وفلسفة القراءة وإشكاليات المعنى لحبيب مونسي. ومنها ما تعلق بالخطاب الشعري كقراءة الشعر وبناء الدلالة لشفيق السيد، والصورة والبناء الشعري لمحمد حسن عبد الله، والخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية لعبد الإله الصائغ، والخطيئة والتكفير لعبدالله محمد الغدامي، وقراءات في النص الشعري الحديث لبشرى البستاني، وتحليل الخطاب الشعري، والتشابه والاختلاف لمحمد مفتاح، والشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها لمحمد بنيس، والتصوير الشعري لعبدنان حسين قاسم.

من هذه المؤلفات ومن مثيلاتها وبهذه الطريقة أخذ البحث مادته النظرية، واشتغل على ديوان فدوى طوقان بغية تحقيق الأهداف التالية:

- تعدي الجوانب المعرفية والنظرية إلى التطبيق والبحث والقياس، وتدعيم الرصيد المعرفي الموجود بالإجراءات التطبيقية.
- التأسيس للقراءة النقدية الجامعة بين المعرفتين القديمة والحديثة.
- الإجمال والظن ثم التفصيل واليقين، وفي ذلك رصد الآفاق والبحث في تثبيتها، لأن الاستيعاب توقع واستباق، ثم شرح وتفسير، وهذا هو التأويل المتساوق مع النقد المعاصر.
- الربط بين الشكل الكتابي (المسكن الشعري) ومنطوق الخطاب ومفهومه في النشاط التأويلي.
- عرض وتطبيق آليات مختلفة للتأويل، وربطها بمحمول الخطاب الشعري في مستويات مختلفة وضمن حدود متجاوزة متماسكة.
- أن يكون البحث نموذجاً للتأويل في الخطاب الشعري عموماً، جامعاً بين المحمول الدلالي وكيفية آدائه، أي التأويل الدلالي والواصف.

وأما أسباب اختيار المدونة فتعود لتوفر كل أشكال القصيدة العربية الحديثة والمعاصرة فيها، ولأن القراءة المتعددة لنفس الديوان على فترات ولدت حساً حميمياً، تحمله تطلعات الانفعال الشعري إلى الكونية والإنسانية مروراً بالذاتية والجماعية القومية، ويحمله أيضاً اجتماع المد الوجداني الذاتي والمد الوطني؛ ولذلك جاء في مجمله رسالة واحدة مجزأة، بما يتطلب بحثاً في الرموز والأقنعة والكشف عنها وهو ما زكى الرؤية التأويلية فعلاً قرائياً، يناسب الرؤية الإنتاجية فعلاً محاكاتياً.

إن إنجاز هذا البحث ليس غايةً في ذاته، تتوقف عندها حركة التدوين والتأليف، بل هو وسيلة لفتح مجالات للتأويل وإعماله في الخطاب الشعري، لما فيه من أنس تراثي أحاذ، ومدّ منهجي معاصر. وقد آنسني في إنجازه أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد خان بما قومه وعدّله وهياً لي ما أعانني على إتمامه، فاستأنست بذلك، واندفعت أجوب جنبات الديوان، يحدوني أمل النفع والانتفاع، فما وجدت في نفسي ضيقاً، ولا أصابني مضض، وما أضناني سهر ولا تفريط ولا شعور بنقص، فلا يسعني إلا أن أشكره جزيل الشكر، وأرفع إليه عبارات الودّ والعرفان لما بذله معي من جهد لا أفيه حقه وإن حرصت، وأحتسب جهده وجهدي عند الله.